

عظمة «لا إله إلا الله»



«لا إله إلا الله» هي أصدق العبارات، وأجمل الكلمات، وأفضل الحديث، وأجل الحسنات، إذا قال العبد في الأرض لا إله إلا الله، قال الله في السماء: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، هي فطرة الله التي فطر الناس عليها وميثاقه الذي أخذه من الناس، ودعوة رسله التي بعثوا بها، ومنطوق كتبه التي أنزلها، من أجلها قام سوق الجنة وسوق النار، وبسببها مد الصراط، وتطايرت الصحف، ووضع الميزان، وسل سيف الملة، ورفع علم الجهاد، وسقطت جماجم الأبطال، وطارَت أرواح الشهداء، ولذ طعم الموت، وأمهرت المنايا نفوس المقاتلين. لا إله إلا الله تزن السماوات والأرضين فترجح، لو كانت في حلقة حديد مبهمة لفصمتها، لو دخلت صخرة ملساء لفجرتها، لهو هبطت على جبل لتصدع، ولو نزلت على صخر لتفجع، خير ما قال الأحياء، وأحسن ما ذهب به الأموات، من صدق في قولها نجا وأفلق، وسعد وأنجح، بها يعصم دمه ويؤمن عرضه، ويحفظ ماله، ويهنأ عيشه، ما فهمها فرعون فدرس أنفه في الطين، وما نطقها أبو جهل فوضع في القليب، وكفر بها قارون فخسف به، هي البداية والنهاية، ورأس الأمر، ورأس القضية، وقصة الحياة، وحديث العمر، لها في القلوب هيبة، وفي النفوس جلالة، تفتح بها أبواب علام الغيوب، وتغفر بها الذنوب، وتلين عند ذكرها القلوب، بها تدك حصون الأعداء، ويهد جدار البغاة، وتسحق فلول المارقين، تحتاج عن صاحبها، تدافع عن قائلها، تذب عن روادها، تشفع لأنصارها، هي العروة الوثقى، والدرجة الرفيعة، والكلمة الطيبة، شافية كافية، جامعة مانعة، عامة كاملة. يبدأ بها الأمر وينتهي، وتفتح بها المسائل وتختتم. على صوت لا إله

إلا إياهم، تقدم أبطال بدر يصدقون إياهم ما وعدوه، وعلى جلجلة لا إله إلا إياهم سالت دماء الشهداء في أحد لأنهم عليها بايعوا المعصوم وعاهدوه، ولندصرتها اغتيل يحيى، وأهدر دم زكريا، وسعرت النار للخليل، وحورب الكليم. على زجل لا إله إلا إياهم ضج حمزة بدمه، وقطعت يدا جعفر، واحتز رأس مصعب، (فَاتَّاهُمُ اللَّاهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) (آل عمران/ 148)، صدّقها أبو بكر فتوج بتاج الصدق، فلا يعرف في العالم إلا بالصدق (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (الزمر/ 33)، وكذب بها مسلمة فخطم بوسم الكذاب، فلا يعرف في الخلق إلا بالكذب (فَنَدَجَّ عَلَ لَعْنَةِ اللَّاهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران/ 61). لا إله إلا إياهم نافية مثبتة، نافية للأنداد والأضداد والشركاء والدخلاء والطواغيت والأصنام والأوثان، مثبتة الألوهية للخالق الحق، الحي القيوم، مثبتة له العبودية والعظمة والتفرد والكمال والجمال والجلال، لا إله إلا إياهم تذهب الهموم، وتزيل الغموم، وتحرق الخطايا، وتكفر السيئات، وترضي الرب، وتغضب الشيطان. إياهم أكبر كل هم ينجلي **** عن قلب كل مكبر ومهلل لا إله إلا إياهم وثيقة ربانية، هبط بها جبريل إلى الأرض، وحملها موسى إلى فرعون، وأعلنها محمد (ص) من على الصفا ونادت ببندوها الأنبياء، ودافع عن مثلها المصلحون، قلها إذا أصبحت ليكن يومك غرة في الأيام ونهارك سعيداً على الدوام، يسهل فيه عملك، ويكثر فيه رزقك، وقلها إذا أمسيت ليكن ليلك أمناً وأماناً، وروحاً وريحاناً، تحفظ فيه من الطوارق، وتمان فيه من الحوادث. إذا رأيت السماء المرفوعة بلا عمد، وقد مدت أجنحتها على الأرض لا يمسكها إلا إياهم، فقل: لا إله إلا إياهم. وإذا رأيت الجبال هائمة في الخيال تمد أعناقها بلا مبالاة، وتغوص في الأعماق في جبروت فقل: لا إله إلا إياهم. إذا أدبر الزمان، وجار السلطان، وجفاك الإخوان، فقل: لا إله إلا إياهم، فإذا الطمأنينة والرضى والأمن والأمان. إذا احلوك الظلام، وتغيرت الأيام، وتضاعفت الأسقام، فقل: لا إله إلا إياهم، فإذا النور والسعادة والأنس. إذا اشتد الخطب، وعظم الكرب، وجثم الأمر الصعب، فقل: لا إله إلا إياهم، فإذا الفرج والنصر والفتح. أيّها المعذبون في الأرض، المجلودون بسياط الجور، والمحبوسون في زنزاة العدوان، قولوا: لا إله إلا إياهم، لتذوقوا طعم الحرية، وتعرفوا معنى الإنسانية وتدركوا سر الحياة. (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّاهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْعَاقِلِينَ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّاهِ ...) (الزمر/ 22). أيّها الجائعون الباحثون عن فتات الخبز على أرفصة اليأس، المنطرحون على عتبة الحرمان، المتقلبون على جمر الأسى، قولوا: لا إله إلا إياهم، لتجدوا عوضاً عن الخيبة، وملاذاً آمناً من الخوف (فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ وَحَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل/ 97). أيّها الباكون من أوجاع المصائب، الساهرون من جراح النوائب،

قولوا: لا إله إلا الله. لكن لا إله إلا الله اقتحمت معاقل الزمان الآن لتلصق خدودهم بأوجال الدمار، وتخرج أتباعهم المقلدين من تحت أقبية الظلم، ومن بين أنقاض الرجس، ليسمعوا في صراحة وصرامة لا إله إلا الله. اخرجوا وانظروا إلى الأرض إذا نزل عليها الماء كيف تهتز وتنبت من كل زوج بهيج، وإذا مسحها الغيث ازيتت وأخذت زخرفها لتعلموا أن لا إله إلا الله. اخرجوا وانظروا إلى الحبة والورقة واليرقة والسنا والضيء والماء والظل والطل والنور والظلمة والحر والقر لتعلموا أن لا إله إلا الله، قال سبحانه: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (محمد/ 19)، وقال: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلاًُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص/ 88). وقال: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ يُسْتَكَذِبُونَ) (الصفات/ 35). وقال: (حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيَّ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة/ 129). وفي الحديث: "خير ما قلت أنا والنبيون قبلي يوم عرفة، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير". وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ". وقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة". وقال نوح لأبنائه: "عليكم بلا إله إلا الله فوالذي نفسي بيده لو كانت لا إله إلا الله في حلقة من حديد مبهمة لقصمتها لا إله إلا الله". المصدر: كتاب (العظيمة)